# زيارة مفاجئة !

فوجئت فى مكتبة الشروق عصر يوم من أيام أكتوبر ١٩٩٤ باثنين من اليهود يريدان مقابلتى ، اتضح أن أحدهما عراقى يهودى ، والثانى مفتش لغة عربية فى وزارة التعليم بالقدس . قال الأول أنه صاحب معجم عربى / عبرى ، مكون من جزئين يباع بمائة دولار ، وأن على معجمه طلبات كثيرة فى كل البلاد العربية من المغرب إلى الخليج ، وأنه موجود فى مكتبات الجامعات بمصر ، ولا غنى عنه . ويعرض أن تقوم دار الشروق بطبعه وتوزيعه فى البلاد العربية مقابل دفع حقوق التأليف له . وقال إنه يزور مصر كل شهرين أو ثلاثة فيمكننى دراسة الموضوع حتى زيارته التالية .

أجبته بوجود معجم مماثل يُسمى « قوجمان » ، والطلب عليه ضعيف ، فأخذ يُعيد مزايا معجمه عن « قوجمان » .

وفجأة سألنى : لماذا لا تحبوننا ؟!

أجبت : هل تريد إجابة صريحة ؟

ـ : نعم .

ـ أرجِعوا ملايين اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم ـ طبقاً لقرارات الأمم المتحدة ـ وأخرجوا الفلسطينيين المعتقلين فى السجون ـ والذين أدانتكم بخصوصهم قرارات ومنظمات الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية ـ وأعيدوا للفلسطينيين أملاكهم من الأراضى التى صادرتموها وبيوتهم التى هدمتموها ، وآبارهم التى استنزفتموها ، وعوضوهم عن قتلهم وتعذيبهم وتشريدهم ـ كما دفع ويدفع لكم الألمان حتى اليوم ـ وعوضونا عما سببتموه لنا فى حروب ٥٦ ، ٦٧ ، والبترول الذى أخذتموه من سيناء مايقرب من عشرين عاماً ، ثم انسحبوا من الجولان السورية والجنوب اللبنانى ،

وعـودوا إلـى حـدود الأمم المتحدة حينئذ لا نكرهكم !

ـ ألا تعلم أن المفاوضات تجرى الآن بيننا وبين المنظمة فى مصر تحت رعاية حكومتكم؟

ـ قد تستمر هذه المفاوضات عشر أو عشرين سنة ، أو أكثر ، ولا أحد يعلم ماذا تصل إليه ، ولا أحد يضمن تنفيذ ما تصل إليه . ثم بأى منطق تأتون إلى فلسطين فى أيام أو ساعات بروسى يهودى أو پولندى يهودى ، ولد فى روسيا أو پولندا هو وأبوه وجده وجد جده إلى عشرين أو ثلاثين جد أو أكثر ، ثم تمنعوا عودة فلسطينى ولد فى فلسطين هو وأبوه وجده وجد جده إلى عشرين أو ثلاثين جد أو أكثر ، تمنعوا هذا الفلسطينى من الرجوع لبلده إلا بعد مفاوضات لا يعلم إلا الله متى ستنتهى وكيف ستنتهى ؟ وإذا كنتم رفضتم عشرات القرارات الصادرة من الأمم المتحدة القاضية بعودة اللاجئين وتعويضهم ، هل نتوقع من مفاوضات أصررتم أن تتم بعيداً عن الأمم المتحدة ـ التى تبنون شرعيتكم كدولة على قرارها بتقسيم فلسطين ١٩٤٧ ـ أى التزام من طرفكم ؟

ـ ألا تعرف أن الرب قال لإبراهيم : أعبر نهر الأردن إلى أرض الكنعانيين ؟

ـ أنجب إبراهيم ثمانية ذكور ، أكبرهم إسماعيل ، فإذا ورث الأكبر كان إسماعيل ، وإذا قسمنا الميراث أصبح لكل من يعقوب وأخيه الأكبر عيسو ـ ابنى اسحاق ـ $\frac{١}{١٦}$ من ميراث إبراهيم . ويهود اليوم ماهم إلا نسبة صغيرة من أولاد يعقوب ، فمنهم من أصبح مسيحياً ، ومنهم من أصبح مسلماً ، ومنهم غير ذلك ، فنسبة كبيرة من يهود اليوم أصلها من مملكة الخزر الأسيوية ، وليس لهم علاقة بيعقوب ، فأقصى ما يمكنكم زعمه بهذا الخصوص أنكم السدس أو الخمس من نسل يعقوب ، فإذا مضينا معكم فى هذه الفكرة السخيفة ، فليس لكم إلا السدس أو الخمس من $\frac{١}{١٦}$ من ميراث إبراهيم ، أى ١ ٪ إلى ١,٢ ٪ .. هذه أول نقطة .

النقطة الثانية ... أنت تقول قال الرب لإبراهيم : أعبر نهر الأردن لأرض الكنعانيين .. أرض الكنعانيين .. قال الرب أرض الكنعانيين .. أى أرض العرب .. حتى أن إبراهيم إشترى من أصحابها مدفن لسارة عند وفاتها .

النقطة الثالثة ... هل اكتشفتم فجأة أنتم وحاخاماتكم أن الله خصص لكم أرض

فلسطين ؟ لماذا لم تعودوا إليها منذ ألف سنة ، أو سبعمائة سنة بعد انتهاء الحروب الصليبية ؟ أو حتى منذ خمسمائة سنة بعد أن سقطت الأندلس وكان عليكم إما التنصر أو الهروب أو القتل ؟

لماذا كان عددكم فى فلسطين فى بداية القرن العشرين وعلى وجه التحديد عام ١٩١٤ حوالى ٦٠٠٠٠ نسمة بينما كان عدد السكان العرب حوالى ٧٠٠,٠٠٠ نسمة أى ١٢ ضعف ؟ بل انه قبل ذلك بحوالى ثلاث عقود ، كان عدد الفلسطينيين حوالى نصف مليون ، واليهود أقل من ٢٥ ألف !

النقطة الرابعة .. إذا كنت تعتبر أن أرض فلسطين خصصها الرب لبنى إسرائيل فلماذا تفاوضون الفلسطينيين ؟ وعلى أى أساس ؟ الحقيقة أنكم أنتم والفلسطينيون دخلتم أرض كنعان العربية فى توقيت متقارب منذ أكثر من ثلاثين قرن ، والفارق بينكم وبينهم أنهم انتشروا فى كل الأنحاء لأنهم اختلطوا بالسكان وتناسبوا وتصاهروا ، أما أنتم فقد حصرتم أنفسكم فى مساحات صغيرة ولم تختلطوا وتتزاوجوا مع السكان مثلهم ، وعندما فعلتم ذلك فى وقت من الأوقات نهاكم عنه رؤساؤكم وفصلوكم عن زوجاتكم وأزواجكم .

- ونحن مازلنا فى إسرائيل نشغل مساحة صغيرة جداً من الأرض قد تكون أقل من مساحة محافظة مطروح .

- وما يجبركم على ذلك ؟ لماذا لا ترجعوا كما كنتم قبل الأربعينات تعيشون هنا فى مصر والسودان وليبيا وتونس والمغرب ، والعراق وسوريا واليمن ، كمواطنين ؟ وتتركوا فلسطين لأهلها وأصحابها .

- ألا تدرى ماذا فعل هتلر بنا ؟ ألاتدرى عن مذابح اليهود فى روسيا ؟ ألا تدرى كيف كانوا فى أوروبا يضطهدونا ويصادروا أموالنا وممتلكاتنا كل حين ؟ ألم تسمع عن الجيتو اليهودى الذى اضطررنا للانعزال فيه ؟

- إذا هذا هو سبب مجيئكم لفلسطين .. العالم يضطهدكم وأنتم تضطهدون الفلسطينيين وتغرقوا المنطقة فى بحر من الحروب والدماء والعنف والكراهية .

- كيف نعيش فى بلادكم وأنتم تقولون علينا كفرة ؟

ـ نحن لا نقول عليكم كفرة ، بل أهل كتاب ، والمسيحيون الذين يعيشون وسطنا يعيشون مثلنا تماماً ، لهم مالنا وعليهم ماعلينا . وفى الواقع أنتم الذين تقولون علينا كفرة ، ونفس الشئ تقولوه على المسيحيين ، وأنت تعلم طبعاً ماذا تقولوا على المسيح ، وكيف أنجبته أمه .. نحن نعترف بموسى وهارون وداود وسليمان ونقدرهم تقديراً عالياً ، وأنتم تقولون عن محمد وثنى كذاب .. وما إلى ذلك مما تعرفه .

وأُذَكِّرَك أنه لما سقطت الخلافة الإسلامية فى الأندلس منذ خمسمائة عام واضطررتم لمغادرتها ـ أو التنصر أو القتل ـ أين ذهبتم ؟ ذهبتم للمغرب ولمصر وتركيا .. إسطنبول مقر الخلافة الإسلامية .. ولم تذهبوا حتى لفلسطين .

ولدى كتاب « إسرائيل : أمة وتاريخها » مؤلفه أ . ن . بولاك اليهودى ، وناشره : دائرة النشر التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية ـ ١٩٥٣ . يقول فيه المؤلف ـ كما يقول كثير من مؤرخيكم وأدبائكم ـ أنكم كنتم دائماً مضطهدين مظلومين منبوذين ، حقوقكم مهدرة وأموالكم مباحة ... إلا ـ كما يقول المؤلف ـ فى منطقة الشرق الأوسط ، تلك المنطقة التى تعددت فيها الديانات ، فتميز أهلها بالتسامح وقبول الاختلافات فى الدين .

ـ مارأيك فيما فعله الإخوان المسلمون قديماً * ، وما تفعله حماس الآن ؟

ـ ما فعله الإخوان قديماً ـ فى حرب ١٩٤٨ ـ هو أمر طبيعى فى مساعدتهم الفلسطينيين الذين اغتصبتموه أرضهم .. أمر طبيعى ، بل وهو واجب بكل المقاييس الأخلاقية والقومية والعائلية والدينية .. فالفلسطينيون عرب مثلنا ، أكثرية مسلمة تعيش بينها أقلية مسيحية ، مثلنا ، هم جيراننا ، بيننا وبينهم روابط أصل ولغة وتاريخ وحاضر ونسب .. وغير ذلك . وتعجب أنت من ذلك فى الوقت الذى تساعد فيه روسى يهودى أو مجرى يهودى ؟

ويساعد يهود أمريكا يهود روسيا حتى فى أشد أوقات العداء بين أمريكا وروسيا .

هنا قال محدثى : كل معلوماتك غير صحيحة .. هى معلومات دعاية لانصيب لها من الصحة ...

---

* قال كمال حسن على فى كتابه « مشاويرالعمر » عن الإخوان المسلمين فى حرب ٤٨ : إنهم يموتون بشجاعة فائقة !

قلت : أنت قلت أنك تأتى مصر كل شهرين أو ثلاثة .. أحضر معك فى زيارتك القادمة كتاباً يهودياً .. تأليفاً وطباعة ونشراً فيه المعلومات الصحيحة كما تقول .. ثم نتقابل بعد أن أقرأه ...

انصرف الاثنان على وعد بذلك .

توجهت لوالدى - رحمه الله - بمستشفى النيل بدراوى ، وقصصت عليه ما حدث ، فقال : طلب منى أحد أعلام الأدباء أن نطبع كتبه بالعبرية لأن أحد الناشرين الإسرائيليين يريدها فى السوق الإسرائيلية ، فسألته : ولماذا نطبع نحن بالعبرية ؟ لماذا لا يطبعها الناشر الإسرائيلى فى إسرائيل مادمت موافق على ذلك ؟

فأجابه لأن الناشر الإسرائيلى يمر بضائقة مالية !

فكأن المطلوب منا تمويل الناشر الإسرائيلى !

obeikandl.com